فأنت حين تدعو شخصاً إلى الله فإنما تُخرجه عن الفساد الذى ألفه ، وهو لم يألف الفساد إلا بعد أن اشتهاه أولاً ، ثم اعتاده بالفعل والممارسة ثانياً ، وهاتان مصيبتان آخذتان بزمامه ، فما أحوجه لأسلوب لَيِّن يستميل مشاعره ويعطفه نحوك فيستجيب لك .

وما أشبه الداعية فى هذا الموقف بالذى يحتال ليخلص الثوب الحرير من الأشواك ، أما إنْ نهرته وقسوْتَ عليه فسوف يُعرض عنك ، وينصرف عن دعوتك ، ويظلّ على ما هو عليه من الفساد ؛ لذلك قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. (١٢٥) ﴾ [النحل]

ويقولون : النصح ثقيل فلا تُرسلْه جبلاً ، ولا تجعله جدلاً ، وقالوا : الحقائق مُرّة فاستعيروا لها خفَّة البيان .

وبعد أنْ أنهى إبراهيم مقالته يرد الأب قائلاً :

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) ﴾

الفعل ( رغب ) يحمل المعنى وضده حَسْب حرف الجر بعده ، نقول : رغب فى كذا . أى : أحبه وذهب إليه ، ورَغب عن كذا أى : كرهه واعتزله ، فمعنى ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ .. (٤٦) ﴾ [مريم] أى : تاركها إلى غيرها ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ .. (١٣٠) ﴾ [البقرة] أى : تركها إلى مِلَّة أخرى .

ونلاحظ أن الفعل رَغب لم يأتِ مقترناً بعده بفى إلا مرة واحدة ،

وإنْ كانت ( فى ) مُـقدَّرة بعد الفعل ، وهذا فى قـوله تعالى عن نكاح يتامى النساء : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ .. (١٢٧) ﴾ [النساء]

والرغـبة فى الشـىء تعـنى حُبـه وعشـقـه ، والرغبـة فى الطريق الموصِّل إلـيه ، إلا أنك لم تسلك هـذا الطريق بالفـعـل ، ولم تأخـذ بالأسبـاب التى تُوصِّلك إلى ما تـرغب فيه ، وهذا المـعنى واضح فى قصة أصحابَ الجنة فى سورة ( ن ) حيث يقول تعالى :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا[1] مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) ﴾ [القلم]

فقد اتفقوا على قَطْف ثمار بستانهم فى الصباح ، ولم يقولوا : إن شاء الله ، فدمَّرها الله وأهلكها وهم نائمون ، وفى الصباح انطلقوا إلى جنتهم وهم يقولون فيما بينهم :

﴿ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) ﴾ [القلم]

وهكذا قطعوا الطريق على أنفسهم حينما حَـرَمُوا المسكين ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) ﴾ [القلم] ثم تنبهوا إلى ما وقعوا فيـه من خطأ ، وعادوا إلى صوابهم فقالوا : ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) ﴾ [القلم]

أى : راغبون فى الطريق الموصِّل إليه تعالى ، فقبل أنْ تقول : أنا راغب فى الله . قل : أنا راغب إلى الله ، فالمسألة ليست حُبّاً فقط بل

(١) الصـرم : القطع مادياً ، كـقطع الثـمار . ويكون القطع مـعنوياً بمـعنى الهجـر وقطع صلة المودة . فيصرمنهـا : أى يقطعون ثمارها . وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) ﴾ [القلم] أى : أصـبحت حـديقتـهم بعـد احتـراقهـا كالليل المـسـودّ أو صارت كـالأرض التى قطعت أشجارها ولا نبات فيها . [ القاموس القويم ١/ ٣٧٥ ] .

حُباً بثمن وسَعْى وعَمل يُوصلُك إلى ما تحب . إذن : قبل أنْ تكونوا راغبين فى ربكم ارغبوا إليه أولاً .

وفى موضع آخر يقول تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ .. ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة] أى : يعيبك فى توزيعها ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة] فهم - إذن - لا يحبون الله ، وإنما يحبون العطاء والعَرَض الزائل ، بدليل أنهم لما مُنعُوا سخطوا وصرفوا نظرهم عن دين الله كمَنْ قال الله فيهم :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ .. ﴿١١﴾ ﴾ [الحج]

لذلك يُعدِّل لهم الحق سبحانه سلوكهم ، ويرشدهم إلى المنهج القويم : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [التوبة] أى : آخذين الوسيلة الموصِّلة إليه ، فالذى يرغب فى حب الله عليه أنْ يرغبَ فى الطريق الموصِّل إليه .

ثم يقول أبو إبراهيم : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ .. ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم] أى : تترك هذه المسألة التى تدعو إليها . والرجْم : هو الرمى بالحجارة ، ويبدو أن عملية الرجم كانت طريقة للتعذيب الشديد ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ .. ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف]

﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم] أى : ابتعد عنى وفارقنى ﴿ مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم] الملىّ : البُرْهة الطويلة من الزمن . ومنها الملاوة : الفترة الطويلة من الزمن ، والملوَان : الليل والنهار .

فماذا قال نبى الله إبراهيم لعمه بعد هذه القسوة ؟ لم يخرج إبراهيم عن سَمْته العادل ، ولم يتعدَّ أدب الحوار والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . قال :

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ ﴾

وكأن إبراهيم - عليه السلام - يريد أنْ يَلفتَ نظر عمه ، ويؤكد له أنه فى خطر عظيم يستوجب العذاب مِنَ الله ، وهذا أمر يُحزنه ولا يُرضيه ، وكيف يترك عمه دون أنْ يأخذَ بيده ؟ فقال له أولاً : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكَ .. ٤٧ ﴾ [مريم] أى : سلام منى أنا ، سلام أقابل به ما بدر منك فأمْرى معك سلام ، فلن أقابلَك بمثل ما قُلْت ، ولن أُغلظ لك ، ولن ينالك منى أذىً ، ولن أقول لك : أُفٍّ .

لكن السلام مِنِّى أنا لا يكفى ، فلا بُدَّ أنْ يكونَ لك سلام أيضاً من الله تعالى ؛ لأنك وقعت فى أمر خطير لا يُغفر ويستوجب العذاب ، وأخشى ألاَّ يكونَ لك سلام من الله .

لذلك قال بعدها : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى .. ٤٧ ﴾ [مريم] كأنه يعتذر عن قوله : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكَ .. ٤٧ ﴾ [مريم] فأنا ما قُلْتُ لك : سلام عليك إلا وأنا أنوى أن أستغفرَ لك ربى ، حتى يتمّ لك السلام إنْ رجعتَ عن عقيدتك فى عبادة الأصنام ، وهو بذلك يريد أنْ يُحنِّنه ويستميل قلبه .

ثم أخبر عن الاستغفار فى المستقبل فلم يقُلْ استغفرتُ ، بل ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ .. ٤٧ ﴾ [مريم] يريد أنْ يُبرىء استغفاره لعمه من المجاملة والنفاق والخداع ، وربما لو استغفرتُ لك الآن لظننتُ أنّى

أجاملك ، أما ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ .. (٤٧)﴾ [مريم] أى : بعيداً عنك ليكون دعاءً عن ظَهْر غيب ، وهو أرْجَى للقبول عند الله .

ثم يقول : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)﴾ [مريم] يريد أنْ يُطمئن عمه إلى أن له منزلة عند الله ، فإذا استغفر له ربه فإنه تعالى سيقبل منه .

وحَفياً : من الفعل حَفِىَ يَحْفَىَ كرَضِى يرضى ، ويأتى بعده حرف جر يُحدِّد معناها . تقول : حفىٌّ به : أى بالغ فى إكرامه إكراماً يستوعب متطلبات سعادته ، وقابله بالحفاوة : أى بالإكرام الذى يتناسب مع ما يُحقِّق له السعادة .

وهذا أمر نسبىّ يختلف باختلاف الناس ، فمنهم مَنْ تكون الحفاوة به مجرد أنْ تستقبله ولو على حصيرة ، وتُقدِّم له ولو كوباً من الشاى ، ومن الناس مَنْ يحتاج إلى الزينات والفُرُش الفاخرة والموائد الفخمة ليشعر بالحفاوة به .

ونقول : حَفىٌّ عنه : أى بالغ فى البحث عنه ليعرف أخباره ، وبلغ من ذلك مبلغاً شَقَّ عليه وأضناه ، وبالعامية يقولون : وصلتُ له بعدما حفيتُ ، ومن ذلك قوله تعالى عن الساعة : ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾ [الأعراف] أى : كأنك معنىٌّ بالساعة ، مُغْرم بالبحث عنها ، دائم الكلام فى شأنها .

إذن : فمعنى : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)﴾ [مريم] أى : أن ربى يبالغ فى إكرامى إكراماً يُحقِّق سعادتى ، ومن سعادتى أن الله يغفر لك الذنب الكبير الذى تُصرّ عليه ، وكأنه عليه السلام يُضخِّم أمريْن : يُضخِّم الذنب الذى وقع فيه عمه ، وهو الكفر بالله ، ويُعظِّم الرب الذى سيستغفر لعمه عنده ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)﴾ [مريم]

وما دام ربى حَفِيّاً بى فلن يخذلنى ، كيف وقد جعلنى نبياً واحتفى بى ، فكُنْ مطمئناً إنْ أنت تُبْتَ مما أنت عليه من المعتقدات الباطلة ، إنه سيغفر لك . وكأن إبراهيم عليه السلام يؤكد لعمه على منزلته عند ربه ، وما على عمه إلا أنْ يسمع كلامه ، ويستجيب لدعوته .

وظَلَّ إبراهيم - عليه السلام - يستغفر لعمه كما وعده ، إلى أنْ تبيَّن له أنه عدو لله فانصرف عند ذلك ، وتبرأ منه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ .. (١١٤) ﴾ [التوبة]

ثم يقول الحق سبحانه عن إبراهيم - عليه السلام - أنه قال لقومه :

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا (٤٨) ﴾

اعتزل : ترك صحبة إلى خير منها ولو فى اعتقاده ، وهنا يلفتنا الحق سبحانه إلى أن الإنسان حين يجادل فى قضية ، ويرى عند خَصْمه لدداً وعناداً فى الباطل ، لا يطيل معه الكلام حتى لا يُؤصِّل فيه العناد ، ويدعوه إلى كبرياء الغَلَبة ولو بالباطل .

لذلك ، فالحق - تبارك وتعالى - يُعلِّم المعاصرين لرسول الله ﷺ إنْ أرادوا البحث فى أمره صدْقاً أو كذباً والعياذ بالله ، أنْ يبحثوه مَثْنى أو فُرَادى ، ولا يبحثوه بَحْثاً جماهيرياً غوغائياً ؛ لأن العمل الغوغائى بعيد عن الموضوعية يستتر فيه الواحد فى الجماعة ، وقد يحدث ما لا تُحمد عُقباه ولا يعرفه أحد .

والغوغائية لا يحكمها عقل ولا منطق ، والجمهور كما يقولون : عقله فى أذنيه . وسبق أن قلنا : إن كليوباترا حين هُزمت وحليفها صَوَّروا هذه الهزيمة على أنها نصر ، كما حدث كثيراً على مَرِّ التاريخ ، وفيها يقول الشاعر :

أَسْمَعُ الشَّعْبَ دُيُونُ كَيْفَ يُوحُونَ إليْه
مَلأَ الجوَّ هتافاً بحياتىْ قاتليْه
أثَّر البُهتانُ فيه وَانْطَلَى الزُّورُ عليْه
يَالَهُ مِنْ بَبَّغَاءٍ عقلُه فى أُذُنيْه

إذن : فالجمهرة لا تُبدى رأياً ، ولا تصل إلى صواب .

يقول الحق سبحانه للمعاصرين لرسول الله ﷺ :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ .. (٤٦)﴾ [سبأ]

فبَحْث مثل هذا الأمر يحتاج إلى فرديْن يتبادلان النظر والفكْر والدليل ويتقصَّيان المسألة ، فإنْ تغلّب أحدهما على الآخر كان الأمر بينهما دون ثالث يمكن أنْ يشمتَ فى المغلوب ، أو يبحثه فرد واحد بينه وبين نفسه فينظر فى شخص رسول الله ، وما هو عليه من أدب وخُلق ، وكيف يكون مع هذا مجنوناً ؟ وهل رأينا عليه أمارات الجنون ؟ والذين قالوا عنه : ساحر لماذا لم يسحرهم كما سحر التابعين له ؟

إذن : لو أدار الشخص الواحد هذه الحقائق على ذهْنه ، واستعرض الآراء المختلفة لاهتدى وحده إلى الصواب ، فالاعتزال أمر مطلوب إنْ وجد الإنسان البيئة غير صالحة لنقاش الباطل مع الحق حتى لا نُؤصِّل الجدل والعناد فى نفس الخَصْم .

لذلك يقول تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ[1] الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا .. (٩٧)﴾ [النساء]

أى : كانت الفرصة أمامكم لتتركوا هذه البُقْعة إلى غيرها من أرض الله الواسعة ، وكأن الحق ـ تبارك وتعالى ـ يُلفت نظرنا إلى أن الأرض كلها أرض الله ، فأرض الله الواسعة ليست هى مصر أو سوريا أو ألمانيا ، بل الأرض كلها بلا حواجز هى أرض الله ، فمَنْ ضاق به مكانٌ ذهب إلى غيره لا يمنعه مانع ، وهل يوجد هذا الآن ؟ هل تستطيع أن تخترق هذه الحواجز ودونها نظم وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان .

لذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠)﴾[الرحمن]

أى : الأرض كل الأرض للأنام كل الأنام[2] وهذا من المبادىء التى جعلها الخالق سبحانه للإنسانية ، فلما استحدثَ الإنسانُ الحواجز والحدود ، وأقام الأسوار والأسلاك ومنع الأنام من الحركة فى أرض الله نشأ فى الكون فساد كبير ، فإنْ ضاق بك موضع لا تجد بديلاً عنه فى غيره ، وإنْ عشتَ فى بيئة غير مستقيمة التكوين كتب عليك أنْ تشقى بها طوال حياتك .

---

(١) توفاهم . أى : تتوفاهم بحذف إحدى التاءين تخفيفاً . أى : تميتهم وتقبض أرواحهم . [ القاموس القويم ٢/٣٤٧ ] . قال ابن كثير فى تفسيره ( ١/٥٤٢ ) : « نزلت هذه الآية الكريمة عامة فى كل من أقام بين ظهرانى المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع » .

(٢) الأنام : ما ظهر على الأرض من جميع الخلق . وقال المفسرون : هم الجن والإنس . [ نقله ابن منظور فى لسان العرب . مادة : أنم ] .

وقلنا : إن هذه الحدود وتلك الحواجز أفرزتْ أرضاً بلا رجال ، ورجالاً بلا أرض ، ولو تكاملتْ هذه الطاقات لاستقامتْ الدنيا .

ومسألة الاعتزال هذه ، أو الهجرة من أرض الباطل ، أو من بيئة لا ينتصر فيها الحق وردتْ فى نصوص عِدَّة بالنسبة لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ منها قوله تعالى :

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) ﴾ [الأنبياء]

فترك إبراهيم الأرض التى استعصتْ على منهج الله إلى أرض أخرى ، وهاجر بدعوته إلى بيئة صالحة لها من أرض الشام .

نعود إلى اعتزال إبراهيم عليه السلام للقوم ، لا لطلب الرزق وسَعة العيش ، بل الاعتزال من أجل الله وفى سبيل مبدأ إيمانى يدعو إليه : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ .. (٤٨) ﴾ [مريم] وأول ما نلحظ أن فى هذا النص عدولاً ، حيث كان الكلام عن العبادة : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ .. (٤٢) ﴾ [مريم] ، ﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ .. (٤٤) ﴾ [مريم]

والقياس يقتضى أن يقول : وأعتزلكم وما تعبدون .. وأدعو ربى . أى : أعبده ، إلا أنه عدل عن العبادة هنا وقال : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ .. (٤٨) ﴾ [مريم] فلماذا ؟

قالوا : لأن الإنسان لا ينصرف عن ربه وعن وحدانيته تعالى إلا حين يستغنى ، فإنْ ألجأتْهُ الأحداث واضطرته الظروف لا يجد ملجأ

إلا إلى الله فيدعو . إذن : فالعبادة ستصل قَطْعاً إلى الدعاء ، وما دُمْتَ ستضطر إلى الدعاء فليكُنْ من بداية الأمر :

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ .. (٤٨) ﴾ [مريم]

إذن : استخدم الدعاء بدل العبادة ؛ لأنني أعبد الله في الرخاء ، فإنْ حدثتْ لي شدَّةٌ لا أجد إلا هو أدعوه .

وقوله : ﴿ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) ﴾ [مريم] أي : عسى ألاَّ أكون شقياً بسبب دعائي لربي ؛ لأنه تبارك وتعالى لا يُشقي مَنْ عبده ودعاه ، فإنْ أردتَ المقابل فَقُلْ : الشقيُّ مَنْ لا يعبد الله ولا يدعوه .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) ﴾

قوله : ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .. (٤٩) ﴾ [مريم] لم يذكر هنا إسماعيل ؛ لأن إسحق جاء جزاءً من الله لإبراهيم على صبره في مسألة ذَبْح إسماعيل ، وما حدث من تفويضهما الأمر لله تعالى ، والتسليم لقضائه وقدره ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا .. (١٠٣) ﴾ [الصافات] أي : إبراهيم وإسماعيل ﴿ وَتَلَّهُ[1] لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) ﴾ [الصافات]

---

(١) تله : أي ألقاه وجبينه ووجهه إلى الأرض . [ القاموس القويم ١/١٠١ ] .

ولم يقتصر الأمر على الفداء ، بل ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ .. (١١٢)﴾ [الصافات] فلما امتثل لأمر الله فى الولد الأول وهبنا له الثانى .

وفى آية أخرى يقول تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)﴾ [الأنبياء]

كأن الحفيد نافلة وزيادة فى عطاء الذرية ، ومبالغة فى الإكرام .

ثم يمتنُّ الله على الجميع بأن يجعلَهم أنبياء ﴿وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)﴾ [مريم] فليس الامتنان بأنْ وهب له إسحاق ومن بعده يعقوب ، بل بأنْ جعلهم أنبياء ، وهذه جاءت بشرى لإبراهيم ، وكان حظّه أنْ يرعى دعوة الله حياً ، ويطمع أنْ تكونَ فى ذريته من بعده ، وكانت هذه هى فكرة زكريا - عليه السلام - فكلهم يحرصون على الذرية لا للعزوة والتكاثر وميراث عَرَضِ الدنيا ، بل لحمل منهج الله وامتداد الدعوة فيهم والقيام بواجبها .

انظر إلى قوله تعالى فى حق إبراهيم عليه السلام : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ[1] فَأَتَمَّهُنَّ .. (١٢٤)﴾ [البقرة] أى : حمَّله تشريعات فقام بها على أتمِّ وجه وأدّاها على وجهها الصحيح ، فلما علم الله منه

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره ( ١/١٦٥ ) : « اختلف فى تعيين الكلمات التى اختبر الله بها إبراهيم . قال ابن عباس : ابتلاه الله بالمناسك .

وعنه أيضاً : ابتلاه بالطهارة : خمس فى الرأس وخمس فى الجسد ، فى الرأس قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق والسواك وفرق الرأس . وفى الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء .

وعن ابن عباس أيضاً قول ثالث : الكلمات التى ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن : فراق قومه فى الله حين أمر بمفارقتهم ، ومحاجته النمروذ فى الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذى فيه خلافه ، وصبره على قذفه إياه فى النار ليحرقوه فى الله على هول ذلك من أمرهم ، والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده فى الله حين أمره بالخروج عنهم .. إلخ .

عشْقه للتكليف أتمها عليه : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (١٢٤)﴾ [البقرة] فتثور مسألة الإمامة في نفس إبراهيم ، ويطمع أنْ تكونَ في ذريته من بعده فيقول : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي .. (١٢٤)﴾ [البقرة] لذلك يُعدِّل الحق سبحانه فكرة إبراهيم عن الإمامة ، ويضع المبدأ العام لها ، فهي ليستْ ميراثاً ، إنها تكليف له شروط :

﴿قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ [البقرة]

فالظالمون لا يصلحون لهذه المهمة . فوعى إبراهيم عليه السلام هذا الدرس ، وأخذ هذا المبدأ ، وأراد أنْ يحتاط به في سؤاله لربه بعد ذلك ، فلما دعا ربه : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ .. (١٢٦)﴾ [البقرة] فاحتاط لأنْ يكونَ في بلده ظالمون ، فقال : ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ .. (١٢٦)﴾ [البقرة]

لكن جاء قياس إبراهيم هنا في غير محله ، فعدَّل الله له المسألة ؛ لأنه يتكلم في أمر خاص بعطاء الربوبية الذي يشمل المؤمنَ والكافر ، والطائعَ والعاصي ، فقد ضمن الله الرزق للجميع فلا داعي للاحتياط في عطاء الربوبية ؛ لذلك أجابه ربه : ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾ [البقرة]

إذن : فهناك فارق بين العطاءين : عطاء الربوبية وعطاء الألوهية ، والإمامية في منهج الله ، فعطاء الربوبية رزْق يُسَاق للجميع وخاضع للأسباب ، فمَنْ أخذ بأسبابه نال منه ما يريد ، أما عطاء الألوهية فتكليف وطاعة وعبادة .

يقول تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠)﴾ [الشورى]

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ مِّن رَّحْمَتِنَا .. ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم] المراد بالرحمة النبوة ؛ لذلك لما قال أهل العظمة والجاه المعاصرون لرسول الله ﷺ : ﴿ لَوْلا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف] وكأنهم استقلُّوا رسول الله أن يكون في هذه المنزلة ، ردَّ عليهم القرآن : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ .. ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف]

إذن : فعطاؤه تعالى في النبوات رحمةٌ أشاعها الله في ذرية إبراهيم .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم] أي : كلمة صدق وحق ثابت مطابق للواقع ، ولسان الصِّدْق يعني مَدْحاً في موضعه ، وثناءً بحق لا مجاملةَ فيه ، والثناء يكون باللسان ، وها نحن نذكر هذا الركْب من الأنبياء إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب بالثناء الحسَن والسيرة الطيبة ، ونأخذهم قدوة ، وهذا كله من لسان الصدق ، ويبدو أنها دعوةُ إبراهيم حين قال :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء]

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾

وهذا أيضاً ركْب من ركْب النبوات ، وقد أخذت قصة موسى عليه السلام حيِّزاً كبيراً من كتاب الله لم تأخذه قصة نبى آخر ، مما دعا الناس إلى التساؤل عن سبب ذلك ، حتى بنو إسرائيل يُفضّلون أنفسهم على الناس بأنهم أكثر الأمم أنبياءً ، وهذا من غبائهم ؛ لأن هذه تُحسَب عليهم لا لهم ، فكثرة الأنبياء فيهم دليل على عنادهم وغطرستهم مع أنبيائهم .

فما من أمة حيَّرتْ الأنبياء ، وآذتْهم كبنى إسرائيل ؛ لذلك كَثُرَ أنبياؤهم ، والأنبياء أطباء القيَم وأُسَاة أمراضها ، فكثرتهم دليل تفشّى المرض ، وأنه أصبح مرضاً عُضَالاً يحتاج فى علاجه لا لطبيب واحد ، بل لفريق من الأطباء .

والبعض يظن أن قصة موسى فى القرآن مجرد حكاية تاريخ ، كما نقول نحن ونقصُّ : كان يا ما كان حدث كذا وكذا ، ولو كانت قصة موسى فى القرآن مجرد حكاية تاريخ لجاءتْ مرة واحدة . لكنها ليست كذلك ؛ لأن الحكمة من قَصِّها على رسول الله كما قال تعالى :
﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ .. (١٢٠) ﴾ [هود]

إذن : فالهدف من هذا القَصَص تثبيت النبى ﷺ فى دعوته لقومه ؛ لأنه سيتعرض لمواقف وشدائد كثيرة يحتاج فيها إلى تثبيت ومواساة وتسلية ، فكلما جدَّ بينه وبين قومه أمر قال له ربه : اذكر موسى حين فعل كذا وكذا ، وأنت خاتم الرسل ، وأنت التاج بينهم ، فلا بُدَّ لك أنْ تتحمَّل وتصبر .

أما لو نزلت مثل هذه القصة مرة واحدة لكان التثبيت بها مرة واحدة ، وما أكثر الأحداث التى تحتاج إلى تثبيت فى حياة الدعوة .

لذلك نجد خصوم الإسلام يتهمون القرآن الكريم بالتكرار فى قصة موسى عليه السلام ، وهذا دليلٌ على قصورهم فى فَهْم القرآن ، فهذه المواضع التى يرونَ فيها تكراراً ما هى إلا لقطات مختلفة لموضوع واحد ، لكن لكل لقطة منها موقع وميلاد ، فإذا جاء موقعها وحان ميلادها نزلتْ .

ومما رأوا فيه تكراراً ، وليس كذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام طفلاً : ﴿عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ .. (٣٩)﴾ [طه] ونتساءل : متى تستعر العداوة بين عدوين ؟ إنْ كانت العداوة من طرف واحد فإن الطرف الآخر يقابلها بموضوعية ودون لَدَد فى الخصومة إلى أنْ تهدأ العداوة بينهما ، فهو عدو دون عداوة ، فحينما يراه صاحب العداوة على هذا الخُلق يصرف ما فى نفسه من عداوة له ، كما قال تعالى :

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ(١) حَمِيمٌ (٣٤)﴾ [فصلت]

أمّا إنْ كانت العداوة بين عدوَّيْن حقيقيين : هذا عدو وهذا عدو ، هنا تستعر العداوة ، وتزكو نارها ، ويحتدم بينهما صراع ، ولا بُدَّ أنْ يصرَع أحدهما الآخر .

والحق تبارك وتعالى حينما تكلّم عن موسى وفرعون ، جعل العداوة مرة من موسى فى قوله تعالى : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا .. (٨)﴾ [القصص]

---

(١) الولى : هو القريب بالنسب أو بالمحبة أو بالطاعة . أو الولى : الصديق وهو ضد العدو . [ القاموس القويم ٢/٣٥٨ ] قال ابن الأعرابى : الولى التابع المحب . وقال ابن منظور فى اللسان [ مادة : ولى ] : الولى : الصديق والنصير .

فالعداوة هنا من موسى ليفضح الله أمر فرعون ، فها هو يأخذ موسى ويُربِّيه ، وهو لا يعلم أنه عدو له ، وعلى يديْه ستكون نهايته غريقاً ، فالمقاييس عنده خاطئة ، وهو يدَّعِي الألوهية .

ومرة أخرى يُثبت العداوة من فرعون فى قوله تعالى :

﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ .. (٣٩) ﴾ [طه]

فالعداوة هنا من فرعون . إذن : فالعداوة من الطرفين ، لذلك فالمعركة بينهما كانت حامية .

كذلك من المواضع التى ظنوا بها تكراراً قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ [القصص]

وفى آية أخرى يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ .. (٣٩) ﴾ [طه]

والمستشرقون أحدثوا ضجة حول هذه الآيات : لأنهم لا يفهمون أسلوب القرآن ، وليست لديهم الملكة العربية للتلقِّى عن الله ، فهناك فَرْق بين السياقين ، فالكلام الأول : ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ .. (٧) ﴾ [القصص] هذه أحداث لم تقع بعد ، إنها ستحدث فى المستقبل ، والكلام مجرد إعداد أم موسى للأحداث قبل أنْ تقعَ .

أمَّا المعنى الثانى فهو مباشر للأحداث وقت وقوعها ؛ لذلك جاء فى عبارات مختصرة كأنها برقيات حاسمة لتناسب واقع الأحداث :

﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ .. (٣٩) ﴾ [طه]

كما أن الآية الاولى ذكرت : ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ .. ۝٧ ﴾ [القصص] ولم تذكر التابوت كما فى الآية الأخرى : ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ .. ۝٣٩ ﴾ [طه]

إذن : ليس فى المسألة تكرار كما يدَّعى المغرضون ؛ فكل منهما تتحدث عن حال معين ومرحلة من مراحل القصة .

ثم يقول تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا .. ۝٥١ ﴾ [مريم] من خلّصَ شيئا من أشياء ، أى : استخرج شيئاً من أشياء كانت مختلطة به ، كما نستخلص مثلاً العطور من الزهور ، فقد أخذت الجيد وتركت الردىء ، وبالنسبة للإنسان نقول : فلان مُخلص لأن الإنسان مركب من ملكات متعددة لتخدم كل حركة فى الحياة ، وكل ملَكة من ملَكاته ، أو جهاز من أجهزته له مهمة يؤديها ، إلا أنها قد تدخل عليها أشياء ليست من مهمته ، أو تخرج عن غاياتها فتحدث فيه بعض الشوائب ، فيحتاج الإنسان لأنْ يُخلِّص نفسه من هذه الشوائب .

فمثلاً ، الحق ـ تبارك وتعالى ـ جعل التقاء الرجل والمرأة لهدف محدد ، وهو بقاء النوع ؛ لذلك تجد الحيوان المحكوم بالغريزة لا بالعقل والاختيار إذا أدى كُلٌّ من الذكر والأنثى هذه المهمة لا يمكن أنْ تُمكِّن الأنثى الذكر منها ، وكذلك الذكر لا يأتى الأنثى إذا علم من رائحتها أنها حامل .

إذن : وقف الحيوان بهذه الغريزة عند مهمتها ، وهى حفظ النوع ، لكن الإنسان لم يقف بهذه الغريزة عند حدودها ، بل جعلها مُتعة شخصية يأتى حفْظ النوع تابعاً لها .

وكذلك الحال فى غريزة الطعام ، فالإنسان إذا جاع يحتاج بغريزته إلى أنْ يأكلَ ، والحكمة من ذلك استبقاء الحياة ، لا الامتلاء باللحم والشحم . فالحيوان يقف بهذه الغريزة عند حَدِّها ، فإذا شبع فلا يمكن أنْ تُجبره على عود برسيم واحد فوق ما أكل .

أما فى الإنسان فالأمر مختلف تماماً ، فيأكل الإنسان حتى الشِّبَع ، ثم حتى التُّخْمة ، ولا مانع بعد ذلك من الحلو والمشروبات وخلافه ؛ لذلك وضع لنا الخالق سبحانه وتعالى المنهج الذى يُنظِّم لنا هذه الغريزة ، فقال تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا .. (٣١)﴾ [الأعراف]

وفى الحديث الشريف : « بحسب ابن آدم لقيمات يُقمْنَ صُلْبه ، فإن كان ولا بُدَّ فاعلاً ، فثُلث لطعامه ، وثُلث لشرابه ، وثُلث لنفَسه »[1]

ومن الغرائز أيضاً غريزة حب الاستطلاع ، فالإنسان يحب أن يعرف ما عند الآخر ليحدث بين الناس الترقى اللازم لحركة الحياة ، ومعرفة أسرار الله فى الكون ، وهذا هو الحد المقبول أما أن يتحول حب الاستطلاع إلى التجسس وتتبّع عورات الآخرين ، فهذا لا يُقبل ويُعَدُّ من شوائب النفوس ، يحتاج إلى أنْ نُخلِّص أنفسنا منه .

إذن : لكل غريزة حكمة ومهمة يجب ألاَّ نخرج عنها ، والمُخْلَص هو الذى يقف بغرائزه عند حَدِّها لا يتعدَّاها ويخلصها من الشوائب التى تحوط بها . وهذه الصفة إمَّا أنْ يكرم الله بها العبد فيُخلِّصه من

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ( ٤/١٣٢ ) ، والترمذى فى سننه ( ٢٣٨٠ ) من حديث المقدام ابن معد يكرب ، ولفظه « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطن » الحديث قال الترمذى « حديث حسن صحيح » .

البداية من هذه الشوائب ، أو يجتهد هو ليُخلِّص نفسه من شوائبها باتباعه لمنهج الله . هذا هو المُخْلَص : أى الذى خلص نفسه .

لذلك ، يقولون : من الناس مَنْ يصل بطاعة الله إلى كرامة الله ، ومن الناس مَنْ يصل بكرامة الله إلى طاعة الله . وقد جعل الله تعالى الأنبياء مخْلَصين من بدايتهم ، ليكونوا جاهزين لهداية الناس ، ولا يُضيِّعون أوقاتهم فى تخليص أنفسهم من شوائب الحياة وتجاربها .

ألم يستمر رسول الله ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة يُعلِّم الناس كيف يُخلِصون أنفسهم ؟ فكيف إنْ كان النبى نفسه فى حاجة لأنْ يُخلص نفسه ؟

ولمكانة هؤلاء المخْلَصين ومنزلتهم تأدَّب إبليس وراعى هذه المنزلة حين قال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴾ [ص]

لأن هؤلاء لا يقدر إبليس على غوايتهم .

ثم يقول تعالى : ﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥١) ﴾ [مريم] لأن من عباد الله مَنْ يكون مخْلَصاً دون أن يكون نبياً أو رسولاً كالعبد الصالح مثلاً ؛ لذلك أخبر تعالى عن موسى - عليه السلام - أنه جمع له كل هذه الصفات .

والرسول : مَنْ أُوحِى إليه بشرع يعمل به ويُؤْمَر بتبليغه لقومه . أما النبى ، فهو مَنْ أُوحِى إليه بشرع يعمل به لكن لم يُؤْمَر بتبليغه . إذن : فكل رسول نبى ، وليس كل نبى رسولاً ؛ لأن النبى يعيش على منهج الرسول الذى يعاصره أو يسبقه .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢ ﴾

قوله تعالى : ﴿ من جانب الطُّور الأيْمَن .. ۝٥٢ ﴾ [مريم] أيمن الطور ، أمْ أيمن موسى ؟ أىّ مكان لا يُقال له أيمن ولا أيسر ، إنما الأيمن والأيسر بالنسبة لك أو لغيرك ، فالذى تعتبره أنت يميناً يعتبره غيرُك يساراً ، ولا يُقال للمكان أيمن ولا أيسر إلا إذا قستْه إلى شىء ثابت كالقبْلة مثلاً فتقول : أيمن القبلة ، وأيسر القبلة ، وخلف القبْلة ، وأمام القبْلة .

إذن : فقوله : ﴿ من جَانب الطُّور الأيْمَن .. ۝٥٢ ﴾ [مريم] أى : أيمن موسى ، وهو مُقبل على الجبل ، وهذه لقطة مختصرة من القصة جاءت مُفصَّلة فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا .. ۝٢٩ ﴾ [القصص]

وقوله : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ ﴾ [مريم] أى : قرَّبْناه لنُنَاجيه بكلام . والنجىّ : هو المنَاجى الذى يُسرُّ القول إلى صاحبه ، كما جاء فى الحديث الشريف : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنان دون الآخر ، فإن ذلك يُحزنه »(١) .

وقد قرَّب الله تعالى موسى ليناجيه ؛ لأن هذه خصوصية لموسى عليه السلام ، فكلام الله لموسى خاصٌّ به وحده لا يسمعه أحد غيره ، فإنْ قلتَ : فكيف يكلّمه الله بكلام ، ويسمى مناجاة ؟ قالوا : لأنه

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ( ٢١٨٤ ) كتاب السلام . وكذا أخرجه ابن ماجة في سننه ( ٣٧٧٥ ) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . وعند مسلم زيادة « حتى تختلطوا بالناس » .